

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، وَإِفْرَادُهُ بِالِاسْتِعَانَةِ؛ وَكَانَ ذَلِكَ مُشْعِرًا بِالْإِفْتِقَارِ إِلَى حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَظَنَّ الْمُسْلِمُونَ إِقْبَالَ رَبِّهِمْ عَلَيْهِمْ وَقَوِيَّ رَجَاؤُهُمْ فِي فَضْلِهِ وَعَطَائِهِ؛ نَاسَبَ ذَلِكَ تَوْجِيهَ الرُّغْبَةِ إِلَيْهِ بِطَلَبِ الْحَاجَةِ، فَقَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁽¹⁾.

وَلَمَّا كَانَتْ صَحَّةُ الْعِبَادَةِ مُتَوَقِّفَةً عَلَى شَرْطَيْنِ؛ هُمَا: الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالْمَتَابَعَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ الشَّرْطُ الْأَوَّلُ مُشَارًا إِلَيْهِ بِتَقْدِيمِ الْمَعْمُولِ ﴿إِيَّاكَ﴾ عَلَى ﴿نَعْبُدُ﴾؛ نَاسَبَ ذَلِكَ ذِكْرُ الشَّرْطِ الثَّانِي بِقَوْلِهِ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وَتَمَّةٌ وَجْهٌ آخَرُ؛ وَهُوَ أَنَّهُ لَمَّا سَبَقَ طَلَبُ الْإِعَانَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ؛ جَاءَ قَوْلُهُ: ﴿أَهْدِنَا﴾ كَالْبَيَانِ لِلْمَطْلُوبِ مِنَ الْإِعَانَةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: كَيْفَ أُعِينُكُمْ؟ فَقَالُوا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁽²⁾.

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿أَهْدِنَا﴾: فِعْلٌ أَمْرٌ مِنَ الْهَدَايَةِ وَالْهُدَى؛ بِمَعْنَى: الدَّلَالَةِ وَالْبَيَانِ وَالْإِرْشَادِ.

وَفَرَّقَ جَمَاعَةٌ - مِنْهُمْ الْأَصْمَعِيُّ - بَيْنَ الْهَدَايَةِ وَالْهُدَى، فَجَعَلُوا الْأَوَّلَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الطَّرِيقِ، وَالثَّانِي لِبَيَانِ الدِّينِ، يُقَالُ: هَدَاهُ إِلَى الطَّرِيقِ؛ أَي: دَلَّاهُ، وَهَدَاهُ لِلدِّينِ هُدًى؛ أَي: بَيَّنَّ لَهُ⁽³⁾.

لَمَّا عَلِمَ الْمُؤْمِنُ
عَظَمَةَ اللَّهِ
تَعَالَى بِنُعُوتِ
الْكَمَالِ وَالْجَدَالِ
السَّابِقَةِ الذِّكْرِ،
قَوِيَّ رَجَاؤَهُ فِي
فَضْلِهِ وَعَطَائِهِ
فَبَادَرَ إِلَى طَلَبِ
الْهَدَايَةِ

جَوْهَرُ الْهَدَايَةِ
الْبَيَانُ وَالْإِرْشَادُ،
وَهَدَايَةُ اللَّهِ
لِلْمُؤْمِنِ تَوْفِيقٌ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 1/39، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/187.

(2) الرَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 1/15.

(3) نَشَوَانُ الْجُمْهُرِيِّ، شَمْسُ الْعُلُومِ: (هُدًى)، وَالْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ: (بَابُ الْهَاءِ وَالدَّالِ)، وَابْنُ

بَيْدَه، الْمُخَصَّصُ: 4/51.

الصَّراطُ يَتَّبِعُ
سَالِكِيهِ، وَهُوَ
الطَّرِيقُ الْقَاصِدُ

وظاهر كلام ابن القطّاع⁽¹⁾ والزّمخشري⁽²⁾ أنّهما بمعنى واحد.
(2) ﴿الصَّراطُ﴾: بالصّاد، والسّين، وإشمام الصّاد صوت الزّاي،
وبالزّاي الخالصة⁽³⁾، وأصله بالسّين، مِنْ قَوْلِهِمْ: سَرَطَ
الرَّجُلُ الطَّعَامَ؛ إِذَا بَلَعَهُ، وَيُقَالُ: انْسَرَطَ الشَّيْءُ فِي حَلْقِهِ؛
إِذَا سَارَ فِيهِ سَيْرًا سَهْلًا⁽⁴⁾، وَمِنْهُ سَمِيَ السَّراطُ؛ وذلك على
وجه التّخيل؛ لأنّه يبتلع سالكيه، أو أنّ سالكيه يبتلعونه⁽⁵⁾.
والصّراط: الطّريق مطلقاً⁽⁶⁾، أو الطّريق القاصد⁽⁷⁾، والمنهاج
الواضح⁽⁸⁾.

والصراط في الآية: الطّريق الموصِلُ إلى رضوان الله، وهو
الإسلام.

❁ الْمَعْنَى الإِجْمَالِي:

الصَّراطُ
المُسْتَقِيمُ دالٌّ
على الله جلّ
شأنه، مُوصِّلٌ
إليه، والإِلحاحُ
في طلبه ضرورة

أَرْشَدَنَا، يَا رَبَّنَا، وَدَلَّنَا عَلَى الصَّراطِ الْمُسْتَقِيمِ وَوَفَّقَنَا لِلزُّومِ.
وهو الطّريق الواضحُ البَيِّنُ المَوْصِلُ إلى الله تعالى وَجَنَّتِهِ، وذلك
بِزُّومِ دِينِ الإسلام؛ تَمَسُّكًا بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَاتِّبَاعًا لِسُنَّةِ رَسُولِ
الله⁽⁹⁾.

وهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد، ولذا وجب على
المسلم أن يدعو الله به في كلّ ركعة من صلاته؛ لضرورته إلى ذلك،
وأنّ الهداية له أعظم من حاجته إلى النّصر والرّزق.

(1) ابن القطّاع الصّقليّ، كتاب الأفعال: (هدى).

(2) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (هدى).

(3) وكلّها مقروء به في التّواتر إلّا الرّأي الخالصة، ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 1/271.

(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ للوُصل: (سرط).

(5) الواحديّ، التفسير الوسيط: 1/68، والزّاغ، تفسير الزّاغ: 1/63.

(6) الجوهريّ، الصحاح: (سرط).

(7) ابن ذرّيد، جمهرة اللّغة: (باب الرّاء والسين مع ما بعدهما من الخُروف).

(8) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (سرط).

(9) ابن الجوزيّ، زاد اللّسير: 1/20-21، والسعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 39، وجماعة من

العلماء، التفسير اللّيسر، ص: 1.

من معاني الهداية:

ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ وَاللُّغَوِيُّونَ دَلَالَاتٍ شَتَّى لِلْفِظِ الْهِدَايَةِ، لَخَّصَهَا الْقَاضِي الْبَيْضَاوِي فِي تَقْسِيرِهِ حِينَ قَالَ: "وَالْهِدَايَةُ دَلَالَةٌ بَلُطْفٍ؛ وَلِذَلِكَ تُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَحِيمِ﴾ [الصفافات: 23] وَارِدٌ عَلَى التَّهَكُّمِ، وَمِنْهُ الْهِدْيَةُ، وَهُوَ دِي الْوَحْشِ لِمُقَدَّمَاتِهَا.

وهداية الله تعالى تتنوع أنواعاً لا يُحصيها عدٌّ، لكنها تنحصرُ في أجناسٍ مُتَرَتِّبَةٍ:

الهداياث
كثيرةٌ أولاهها
قوى الإدراك،
وأعلاها إرسالُ
الرُّسُلِ،
والتَّوْفِيقُ
لِلإِيمَانِ وَالْعَمَلِ
الصَّالِحِ ذُرْوَةً
سَنَامِهَا

الأول: إفاضةُ القوى التي بها يَتِمَكَّنُ المرءُ من الاهتداءِ إلى مَصَالِحِهِ؛ كَالْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْحَوَاسِّ الْبَاطِنَةِ وَالْمَشَاعِرِ الظَّاهِرَةِ. والثَّانِي: نَصَبُ الدَّلَائِلِ الْفَارِقَةِ بَيْنَ الْحَقِّ الْبَاطِلِ وَالصَّالِحِ وَالْفَسَادِ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البند: 10]، وَقَالَ ﷺ: ﴿فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: 17].

والثالث: الهدايةُ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ، وَإِيَّاهَا عَنِ بَقُولِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: 73] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9].

والرَّابِع: أَنْ يَكْشِفَ عَلَى قُلُوبِهِمُ السَّرَائِرَ، وَيُرِيَهُمُ الْأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ بِالْوَحْيِ أَوْ الْإِلْهَامِ وَالْمَنَامَاتِ الصَّادِقَةِ، وَهَذَا قِسْمٌ يَخْتَصُّ بَنِيْلَهُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ، وَإِيَّاهُ عَنِ بَقُولِهِ: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهْدَانِهِمْ أَقْتَدَ﴾ [الأنعام: 90]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: 69].

فَالْمَطْلُوبُ إِذَا زِيَادَةُ مَا مُنِحُوهُ مِنَ الْهُدَى، أَوْ الثَّبَاتُ عَلَيْهِ، أَوْ حُصُولُ الْمَرَاتِبِ الْمُرْتَبَةِ عَلَيْهِ⁽¹⁾.

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل، معه حاشية السيوطي: 1/288-289.

❁ الإِيضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالْبَلَاغِيُّ:

طُرُقُ تَعْدِيَةِ فِعْلِ الْهَدَايَةِ:

شُمُولِيَّةٌ (أَهْدِنَا
الْصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ) بِمَعْنَى
الدَّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ،
وَمَعْنَى التَّوْفِيقِ
وَالْإِلْهَامِ

قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ تعدَّى الفعلُ بنفسِه إلى المفعول الثاني، وهذا أحدُ ثلاثة أَوْجُهٍ فيه؛ والوجهان الآخران: أن يتعدَّى إلى الثاني بحرف الجرِّ (إلى) أو (اللَّامَ)، وكل هذا واردٌ في القرآن الكريم. فتعدَّيتهُ بنفسه، كما في آية الفاتحة.

وتعدَّيته بحرف الجرِّ (إلى)، كقوله تعالى: ﴿وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [ص: 22]، وتعدَّيته بحرف الجرِّ (اللَّامَ)، كقوله سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [يونس: 35].

والفرق بين الثلاثة في القرآن الكريم: أنَّ فعلَ الهداية إذا مُدِّي بِ(إلى) كان المرادُ به: هداية الدلالة والإرشاد، وإذا مُدِّي بِ(اللَّامَ)؛ فالمراد: هداية التوفيق والإلهام، وإذا تعدَّى بنفسِه شَمِلَ الهدايَتَيْنِ معاً.

ووجه شموله الهدايَتَيْنِ معاً عند تعدَّيته بنفسِه: أنَّ الأصل في فعل (هَدَى) أن يتعدَّى بأحد الحرفين السابق ذِكْرُهُما -مع فَرْقِ الْمَعْنَى الذي تقدَّم-، وتعدَّيته بنفسِه خلاف الأصل⁽¹⁾، وذلك مُخَرَّجٌ على أحد وجهين:

أحدهما: أنَّ ذلك على تضمين الفعلِ (هَدَى) معنى الفعلِ (عَرَّفَ)⁽²⁾، فقوله سبحانه: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ أي: عرِّفْنَا إيَّاهُ.

والآخر: أنَّ ذلك ضربٌ مِنْ ضُرُوبِ التَّوَسُّعِ في الكلام، وهو المسمَّى بِ(الْحَذْفِ والإِصَالِ)، وهذا لا يكون تَضْمِينًا؛ لأنَّ الحذفَ والإِصَالَ لا يَجُوزُ أصلاً إذا كان الفعلُ مُتَضَمِّنًا معنى فِعْلٍ مُتَعَدٍّ⁽³⁾.

والثاني أقوى؛ لأنَّ فيه تكثرًا للمعاني، وهو الأنسبُ لبلاغة القرآن؛ ووجه تكثره المعاني: أنَّ لنا وَجْهَيْنِ في تقدير الحرفِ المحذوفِ، فَلَمَّا أن نُقدِّرَ (إلى)، ولنا أن نُقدِّرَ (اللَّامَ)، مع استحضار اختلاف المعنى بين التَّقْدِيرَيْنِ.

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 1/45.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/187.

(3) أحمد تيمور باشا، السماع والقياس، ص: 73.

ولمَّا كان التَّقْدِيرَانِ غَيْرَ مُتَعَارِضَيْنِ؛ نَحْمِلُ الْآيَةَ عَلَيْهِمَا مَعًا،
فيكون معنى ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ شاملاً لنوعَي الهداية: الإرشاد
والدلالة، والتوفيق والإلهام⁽¹⁾.

وثمة من يرى أنَّ قولهم (هدأْ لكذا أو إلى كذا)، إنما يُقَالُ لِمَنْ
لم يكن في الطَّرِيق المَطْلُوب فيصِلْ بالهداية إليه، و(هداه كذا)
لِمَنْ يَكُونُ في الطَّرِيق فيزدادُ تبصُّراً بمعاله أو ثباتاً فيه⁽²⁾.

وَجْهُ التَّعْبِيرِ بِنُونِ الْجَمْعِ فِي ﴿أَهْدِنَا﴾:

ولا يخفى أنَّ نونَ الجمعِ في قوله سبحانه: ﴿أَهْدِنَا﴾ يتلأَّمُ مع
مَا قَبْلَهُ في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وسبق عندها وَجْهُ
التَّعْبِيرِ بِالنُّونِ.

ويزَادُ على مَا سَبَقَ وجهان:

الأول: أنَّ الدُّعَاءَ إذا كان يُعْمَلُ المسلمِينَ؛ كان أقرب إلى الإجابة؛
إِذْ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ فِيهِمْ مَنْ يُجِيبُ اللَّهَ دُعَاءَهُ، وَإِذَا أَجَابَ اللَّهُ الدُّعَاءَ
فِي الْبَعْضِ؛ فَهُوَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَرُدَّهُ فِي الْبَاقِي⁽³⁾.

الآخر: أنَّ الاجتماعَ على الْهُدَايَةِ فِيهِ تَثْبِيْتُ وَقُوَّةٌ، وَأَنَّ كَثْرَةَ
السَّائِرِينَ عَلَى الطَّرِيقِ تُورِثُ الْإِنْسَ وَتُهَوِّنُ مَشَقَّةَ السَّيْرِ⁽⁴⁾.

وحقيقة الأمرِ في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أَنَّهُ
لِلدُّعَاءِ؛ إِذْ فِيهِ طَلَبٌ مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى، وَلَيْسَ هُوَ دُعَاءٌ بِدَوَامِ
الْهُدَايَةِ⁽⁵⁾، بَلْ هُوَ دُعَاءٌ لِتَحْصِيلِهَا.

بَلْ إِنَّ حَمَلَ الْأَمْرِ هَهُنَا عَلَى الدَّوَامِ، حَكَمَ عَلَيْهِ ابْنُ الْقَيِّمِ
بِالْبَطْلَانِ، وَهُوَ حَقِيقٌ بِوصْفِهِ بِذَلِكَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَجْهُولَ لَنَا مِنْ

تَعْمِيمِ
الدُّعَاءِ أَقْرَبُ
إِلَى الْإِجَابَةِ،
وَالِاجْتِمَاعِ
تَثْبِيْتُ، وَكَثْرَةُ
السَّائِلِينَ تُورِثُ
الْإِنْسَ

(أَهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ) طَلَبٌ
لِلْهُدَايَةِ التَّامَّةِ؛
لِأَنَّ الْمَجْهُولَ أَكْثَرُ
مِنَ الْعُلُومِ،
وَالْمُؤْمِنُ مُحْتَاجٌ
إِلَى الْهُدَايَةِ فِي
كُلِّ شَيْءٍ

(1) أوماً إلى هذا ابن عثيمين في كتابه: تفسير الفاتحة والبقرة: 1/16.

(2) الخفاجي، عناية القاصي: 1/195.

(3) الرازي، التفسير الكبير: 1/219.

(4) فاضل السامرائي، لمسات بيانية، ص: 57.

(5) يقارَنُ بما ذكره: التَّنَازُلِيُّ، الطُّوْلُ، ص: 428، وأحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 72.

الحقُّ أضعافُ المعلوم، وما لا نريدُ فعلَه تهاوُّناً وكسلاً مثلُ ما نريدُه أو أكثرُ منه أو دونه، وما لا نقدرُ عليه ممَّا نريدُه كذلك، وما نعرفُ جُمْلَتَه ولا نَهْتَدِي لتفاصيله؛ فَأَمُرُّ بِقُوَّةِ الحَصْرِ، ونحن مُحتاجون إلى الهداية التَّامَّة⁽¹⁾.

دَفْعُ تَوَهُّمِ الْقَصْرِ بِالتَّقْدِيمِ:

الْقَصْرُ غَيْرُ مُرَادٍ
فِي هَذَا الْمَقَامِ،
وَالْمُؤْمِنُ يَطْلُبُ
الْهَدَايَةَ لِنَفْسِهِ
وَلِإِخْوَتِهِ

لم يَتَقَدَّمَ مفعولُ (أَهْدِ) كما تقدَّمَ مفعولُ ﴿نَعْبُدُ﴾، فلم يُقَلَّ: (إِيَّانَا أَهْدِ)؛ لِأَنَّ التَّقْدِيمَ يَأْتِي كَثِيرًا مُرَادًا بِهِ الْقَصْرُ، وهذا المعنى لا يصحُّ إِرَادَتُهُ هُنَا؛ إِذْ يَكُونُ الْمَعْنَى لَوْ قَدَّمَ: (أَهْدِنَا وَلَا تَهْدِ أَحَدًا غَيْرَنَا)⁽²⁾، وَلَا يَخْفَى بطلانُهُ؛ وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْاِعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ.

مِنْ أَسْرَارِ اسْتِعْمَالِ ﴿الصِّرَاطِ﴾ دُونَ (سَبِيلِ) أَوْ (طَرِيقِ):

صِرَاطُ اللَّهِ
الْمُسْتَقِيمُ
أَوْسَعُ وَأَوْضَحُ

اخْتِيرَتْ كَلِمَةُ ﴿الصِّرَاطِ﴾، فَجَاءَتْ الْآيَةُ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، دُونَ (أَهْدِنَا السَّبِيلَ) أَوْ (أَهْدِنَا الطَّرِيقَ)؛ لِأَنَّ (صِرَاطَ) عَلَى زِنَةِ (فِعَالٍ)، وَهَذَا الْوِزْنُ يُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا فِي الْمُشْتَمَلَاتِ عَلَى الْأَشْيَاءِ، وَذَلِكَ مِثْلُ: الْخِمَارِ، وَالرِّدَاءِ، وَالرَّبَاطِ، وَاللِّحَافِ، وَمِنْهُ: (الصِّرَاطُ)؛ لِكَوْنِهِ مُشْتَمَلًا عَلَى سَالِكِيهِ كَاشْتِمَالِ الْحَلْقِ عَلَى الْمَسْرُوطِ⁽³⁾، فَهُوَ صِرَاطٌ وَاسِعٌ لَا يَضِيقُ بِالسَّالِكِينَ، بِخِلَافِ (طَرِيقِ) وَ(سَبِيلِ)؛ فَلَا يَدُلُّانِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، فَقَدْ يَكُونَانِ ضَيِّقَيْنِ غَيْرِ مُسْتَوْعِبَيْنِ⁽⁴⁾.

الصِّرَاطُ الْمُؤَدِّي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاحِدٌ:

جاء إفرادُ الصِّرَاطِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ صِرَاطٌ وَاحِدٌ⁽⁵⁾ هُوَ الَّذِي

لِزَوْمِ الْقُرْآنِ
وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ النَّبِيِّ
﴿هُوَ الصِّرَاطُ
الْمُسْتَقِيمُ﴾

(1) ابن القيم، مدارج السالكين: 1/33، ثم قال ابن القيم بعد: «فَمَنْ كَمَلَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمُورُ؛ كَانَ سُؤْلُ الْهَدَايَةِ لَهُ سُؤْلَ التَّثْبِيتِ وَالذَّائِمِ»، وَأَتَى اكْتِمَالُ هَذَا؟ بَلْ، لَوْ اكْتَمَلَتْ؛ فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْقَيْمِ نَفْسَهُ أَنْوَاعًا مِنَ الْهَدَايَةِ، مِنْهَا: الْهَدَايَةُ إِلَى دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَهِيَ غَيْرُ حَاصِلَةٍ لِلْعَبْدِ بَعْدَ.

(2) فاضل السامرائي، لمسات بيانية، ص: 55-56.

(3) الشَّهِيْلِي، نتائج الفكر في النَّحْوِ، ص: 236.

(4) فاضل السامرائي، لمسات بيانية، ص: 58.

(5) فاضل السامرائي، لمسات بيانية، ص: 58.

يُوصِلُ إِلَى اللَّهِ وَجَنَّتِهِ؛ وَهُوَ لَزُومُ الْقُرْآنِ وَاتِّبَاعُ سُنَّةِ نَبِيِّ الْإِسْلَام ﷺ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: 153].

الاستعارة التصريحية الأصلية في لفظ ﴿الصِّرَاطُ﴾:

الصِّرَاطُ يُطْلَقُ فِي الْأَصْلِ عَلَى الطَّرِيقِ الْحِسِّيِّ الْمَخْصُوصِ، فَاسْتَعْمَلَهُ هُنَا لَطَرِيقِ الْإِسْلَامِ مِنْ بَابِ الْإِسْتِعَارَةِ التَّصْرِيحِيَّةِ الْأَصْلِيَّةِ؛ حَيْثُ شُبِّهَ دِينُ الْإِسْلَامِ بِالطَّرِيقِ الْمَخْصُوصِ الْحِسِّيِّ، وَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا مُوَصَّلٌ لِلْمَقْصُودِ⁽¹⁾، فَصُرِّحَ بِاسْمِ الْمُشَبَّهِ بِهِ وَطُويَ ذِكْرُ الْمُشَبَّهِ، عَلَى طَرِيقَةِ الْإِسْتِعَارَةِ التَّصْرِيحِيَّةِ، وَفَائِدَةُ الْإِسْتِعَارَةِ هُنَا: التَّنْبِيهُ عَلَى وَضُوحِ الطَّرِيقِ وَعَدَمِ اشْتِبَاهِهِ؛ إِذِ الْحِسِّيَّاتُ أَظْهَرَ فِي التَّصَوُّرِ مِنَ الْعَقْلِيَّاتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

دلالة الألف واللام على الكمال:

وَتَعْرِيفُ ﴿الصِّرَاطُ﴾ - وَكَذَا صِفَتُهُ تَبَعًا لَهُ - بِ(أَل) يَدُلُّ عَلَى الْكَمَالِ؛ إِذْ دُخُولُ (أَل) عَلَى اسْمٍ مَوْصُوفٍ يَقْتَضِي أَنَّهُ الْأَحَقُّ بِذَلِكَ الْوَصْفِ⁽²⁾، كَمَا فِي تَعْرِيفِ (السَّاعَةِ) مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ [الفرقان: 11]؛ فَالْأَلِفُ وَاللَّامُ تَدُلُّ عَلَى الْكَمَالِ؛ أَي: أَنَّهَا السَّاعَةُ الْجَدِيدَةُ بِأَنَّ تَسْمَى السَّاعَةَ⁽³⁾.

فائدة وصف الصِّرَاطِ بِالْمُسْتَقِيمِ:

وفائدة وصف الصِّرَاطِ بِالْإِسْتِقَامَةِ أُمُورٌ⁽⁴⁾:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْمُسْتَقِيمَ أَقْصَرُ مِنَ الْمَعْوَجِّ، فَكَأَنَّ الْعَبْدَ بَعْدَ أَنْ اسْتَعَانَ بِرَبِّهِ، ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ الْهَدَايَةَ؛ اعْتَرَفَ بِعِجْزِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَلِيْقُ بِضَعْفِهِ إِلَّا الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ.

فائدة الاستعارة
التنبيه على
وضوح الطريق
وعدم اشتباهه؛
إذ الحسِّيَّاتُ
أظهر في التصوُّر
من العقليَّاتِ

صراط الله
المستقيم كامل
في نوعه؛ فهو
بكل جزئياته
ودقائقه
وأحكامه موصل
إلى الله تعالى

المستقيم
أقصر، وأبعد
من المخاوف،
وأسلم في
الوصول،
وأدل على عجز
الإنسان

(1) الهرري، حقائق الروح والزَّيْحَان: 1/92.

(2) السَّهْلِي، نتائج الفكر، ص: 235.

(3) محمَّد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/5256.

(4) الرازي، التفسير الكبير: 1/220.

ثانيها: أَنَّ المستقيم أَبْعَدُ عَنِ الْمَخَافِ وَالْآفَاتِ وَأَقْرَبُ إِلَى الْأَمَانِ، بخلاف المَعْوَجِّ.
ثالثها: أَنَّ المستقيم يُوصِلُ إِلَى المقصودِ وَلَا بُدَّ.

❁ الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

الْهِدَايَةُ وَالْإِشَادَةُ:

الهداية أَعَمُّ مِنَ الْإِشَادَةِ مِنْ وَجْهِ وَأَخْصَ مِنْ وَجْهِ؛ لِأَنَّ الْهِدَايَةَ تَكُونُ فِي الْمَحْبُوبِ وَفِي الْمَكْرُوهِ، فَالْأَوَّلُ كَايَةُ الْفَاتِحَةِ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، والثَّانِي كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصَّافَّاتُ: 23]، وَالْإِشَادَةُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْمَحْبُوبِ، فَالْهِدَايَةُ بِهَذَا الْاعتِبَارِ أَعَمُّ.

وَأَمَّا خُصُوصِيَّةُ الْهِدَايَةِ؛ فَلِأَنَّ الْهِدَايَةَ هِيَ الدَّلَالَةُ الْمُوصِلَةُ إِلَى الْبُغْيَةِ، وَالْإِشَادَةُ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ ذَلِكَ⁽¹⁾.

الصِّرَاطُ وَالطَّرِيقُ وَالسَّبِيلُ:

ذَكَرَ ابْنُ الْكَمَالِ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا؛ وَهُوَ أَنَّ الطَّرِيقَ: كُلُّ مَا يَطَّرُقُهُ طَارِقٌ، مُعْتَادًا كَانَ أَوْ لَا، وَالسَّبِيلُ: مَا هُوَ مُعْتَادُ السُّلُوكِ، فَهُوَ أَخْصَ مِنَ الطَّرِيقِ مُطْلَقًا، وَالصِّرَاطُ: مَا لَا التَّوَأَّ فِيهِ وَلَا اعْوِجَاجٌ مِمَّا هُوَ مُعْتَادُ السُّلُوكِ، فَهُوَ أَخْصَ مِنَ السَّبِيلِ⁽²⁾.

وَفُرَّقَ بَيْنَهُمَا بِمَسَلِّكَ آخَرَ؛ وَهُوَ أَنَّ الصِّرَاطَ هُوَ الطَّرِيقُ السَّهْلُ، وَالطَّرِيقُ لَا يَسْتَلْزَمُ سَهُولَةً، فَالطَّرِيقُ أَعَمُّ مِنَ الصِّرَاطِ مُطْلَقًا، وَأَمَّا السَّبِيلُ فَأَعَمُّ مِنَ الطَّرِيقِ فِي الْإِسْتِعْمَالِ، فَتَقُولُ مَثَلًا: سَبِيلُ اللَّهِ وَطَرِيقُهُ، وَتَقُولُ: سَبِيلُكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا، وَلَا تَقُولُ: طَرِيقُكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا؛ مَرَادًا بِهِ: الْقَصْدُ وَالْإِرَادَةُ⁽³⁾.

(1) أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ، الْفُرُوقُ اللَّغَوِيَّةُ، ص: 42، وَجَمَالُ الدِّينِ الْقُتَيْبِيُّ، مَجْمَعُ بَحَارِ الْأَنْوَارِ: 5/146، وَجَبِلٌ، لِلْعَجْمِ الْإِسْتِغْنَاءُ لِلْمُؤَصَّلِ: (رَشَد).

(2) الْكُفُوفِيُّ، الْكَلِّيَّاتُ، ص: 513-512، وَإِسْمَاعِيلُ حَقِّي، رُوحُ الْبَيَانِ: 5/13.

(3) أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ، الْفُرُوقُ اللَّغَوِيَّةُ، ص: 313.

الهداية تكون
في المَحْبُوبِ
وفي الْمَكْرُوهِ،
وَالْإِشَادَةُ لَا
يَكُونُ إِلَّا فِي
الْمَحْبُوبِ،
وَالْهِدَايَةُ مُوصِلَةٌ
إِلَى الْبُغْيَةِ،
وَالْإِشَادَةُ لَا يَلْزَمُ
مِنْهُ ذَلِكَ

الطَّرِيقُ كُلُّ مَا
يَطَّرُقُهُ طَارِقٌ،
وَالسَّبِيلُ مُعْتَادُ
السُّلُوكِ،
وَالصِّرَاطُ مَا
لَيْسَ فِيهِ التَّوَأَّ

الصِّرَاطُ الطَّرِيقُ
السَّهْلُ،
وَالطَّرِيقُ لَا
يَسْتَلْزَمُ سَهُولَةً،
وَالسَّبِيلُ أَعَمُّ

وَفَرَّقَ بَيْنَ السَّبِيلِ وَالطَّرِيقِ بِمَسَلِكٍ ثَالِثٍ؛ وَهُوَ أَنَّ السَّبِيلَ يُطْلَقُ
غَالِبًا فِي الْخَيْرِ، بِخِلَافِ الطَّرِيقِ فَقَلَّ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْخَيْرِ إِلَّا إِذَا
اقْتَرَنَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ⁽¹⁾.

وَالْأَظْهَرُ: أَنَّ الصِّرَاطَ هُوَ الطَّرِيقُ الْبَيِّنُ الْوَاسِعُ السَّهْلُ، وَلَا زَمَّ
ذَلِكَ أَنْ يَخْلُوَ مِنَ الْإِعْجَاجِ، وَالطَّرِيقُ: أَعَمُّ مِنْهُ مُطْلَقًا، وَأَمَّا السَّبِيلُ
فَهُوَ الطَّرِيقُ الْمُمْتَدُّ السَّهْلُ، وَلَا يَلْزَمُ اتِّسَاعُهُ⁽²⁾.
فُتَرْتَبَ بِحَسَبِ الْأَخْصِيَّةِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ: الصِّرَاطُ، ثُمَّ السَّبِيلُ،
ثُمَّ الطَّرِيقُ.

الصِّرَاطُ هُوَ
الطَّرِيقُ الْبَيِّنُ
الوَاسِعُ السَّهْلُ
الَّذِي لَا إِعْجَاجَ
فِيهِ

(1) أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ، الْفُرُوقُ اللَّغَوِيَّةُ، ص: 313.

(2) مُحَمَّدٌ دَاوُدَ، مَعْجَمُ الْفُرُوقِ الدَّلَالِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ص: 281-284.

مَجْمَعُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالشَّارِقَةِ



مُوسَى وَهَارُونُ
التَّفْسِيرُ الْبِلَاغِيُّ



الْمَجْلَدُ الْأَوَّلُ

من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة